

المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر
الجزء التاسع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المحكمة

فمن عبأى الدين يستعمل القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٨ ﴾

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

ألقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكبي السوري وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد لخص هذه الخطبة بعض من حصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي اولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فان الاسلام دين سهل
سائع موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الأمر مصحفاً مجموعاً كما هو الآن ، وإنما كتبت

(المجلد الحادي عشر)

(٨١)

(المنار ج ٩)

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (الماراج ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل اليهم)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الأرض ، وقتل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذه الأوانون لغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤلفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفاً ، والمسلمين إلا خسفاً .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويدنون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الاصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم المندنية كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؟ السبب في ذلك

(المآزج ٩م ١١) تحليل فلسفي لظهور الاسلام في العرب . حقيقة الاسلام ٦٤٣

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الإسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبعهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم والجمود على تقاليدهم وعاداتهم، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من فوره: إن هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فإن لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين، منه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين، وأما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد، ولم يكن لهم من الحكم المستبدين من يفسد عليهم بأسهم، ويذهب بعزيمتهم، بل أعدمهم لذلك بطبيعة البدو وسذاجة الفطرة، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر، فكان فيهم كثير من إذا دعوا إلى الحق والخير هتفوا بالدعوة، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة، لذلك أنزل الله عليهم كتابه، وبعث فيهم رسوله، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمنعك (أي نحميك) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا، وقام الإسلام بهم خير قيام، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان،

هذه مقدمة يمكنني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الإسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم أن يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الإسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية، وما هي الفطرة البشرية؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة الغيبية واختيار ما تعتقد أنه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا أن الفطرة عرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها بآيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فحصل مقصد الإسلام وحينئذ يجد المسلمون سعة في الوقت لتحصيل

٩٤٤ الإيمان بالله . تزكية النفس . العبادات والآداب (المارچ ٩م ١١)

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الأعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعزز دولتهم

قلنا ان الإهداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والأعمال التي تستغرق الأوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للجنان ، المبنية على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الأعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترتقي الهيئة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الأعمال التي تزكي النفس قرفعها الى عليين ، أو تدسيها فتقيها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاوانس ، والخضوع الاعمى للرؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

(المنار ج ٩ م ١١) سبب انتشار الاسلام . ملائحته لفطرة ٦٤٥

في الكتب واكثروا فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثريين درسها وتعلمها، فكما السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يحج لم يستغن عن المطوفين الذين يعلمون العوام مناسكهم بالعمل . وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهده على العمل به رضي منه وقال « اقلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولة « وأية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض لها من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون) — لعلكم تذكرون — وما يتذكر الا من ينسب) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعوننا اليه من الخير هو مما أودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية — فدين الاسلام اسهل الاديان لاجراجه فيه ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأبي عذر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟! (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بأن يكون كالدواب لا يهجم الا علفها أو كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعزبها الامة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والاضططاط في الثروة والقوة

٦٤٦ الانقلاب العثماني . الانقلاب والثورة (المراجع ٩ م ١١)

نحن اليوم في حالة لا تخفى على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنوب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وإنما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا اذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجابا كثيفا فأعرضنا عنه وعن العلوم التي نمنظ بها بفضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندرسة ليس لها سوق نافقة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند مآظير الاسلام وفقدت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من شائنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العثماني (*)

﴿ تركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تغير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فانه مهما آلم الأمة ورضضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

(*) رسالة حفيلة جليلة ألفها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقرظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

(المراجع ٩ م ١١) الانقلاب والثورة . الاستبداد يولد الانقلاب ٦٤٧

النجاح ، وأكثرت كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الانقلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلاً ، بدل الانقلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباستيل (la Bastille) وإطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة (Révolte) فأجابه المخبر: عفوا يا مولاي بل هذا انقلاب (Révolution)

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المخبر ينافيه ، وبين ان الانقلاب غير الثورة والعصيان ، فنحن اليوم أحوج الى تهيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ دلى قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلاباً في اللغة والأدب ، فضلاً عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد العثمانية دلى اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية (أسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الانقلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعابير السقيمة ، التي نطلى المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتقيد فكره بسلاسل التذليل والاستعباد

الاستبداد يولد الانقلاب

نالذي يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار لفضب والحيوانية ، لا من قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بمحفة بمن تحت يدهم من الخلق ، حلمهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد والمستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

٦٤٨ الاستبداد والاسلام . الاستبداد آسيوي لا إسلامي (المار ج ١١٩)

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتاً منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن غاردة بابل وفراغة مصر ، عن جنكيز خان وتيمور لك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وسأوت بين أفراد الامة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعاهدين فضلاً عن افراد الامة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الامة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم والا اولى الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما يتمكنه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين » ولذا حكمت القضاة على أكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزلتهم عن المنصة ، وأقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، وانقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرثون .. لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لو يس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و « أموال الرعية انما هي ملك للملكها فاذا

(المناج ٩م ١١) الاستبداد آسيوي لا إسلامي . حلف الفضول ٦٤٩

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن، فالحسن هو ما استحسنة السلطان والقبيح ما استقبحة السلطان، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق، ولا للحكمة والشرع، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي، وعلى جانب من الاستعباد الأفريقي، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما قال الله لنبيه: (١٥٣:٣) ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (٢٦:٤٢) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقده قديما قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل، فاجتمعت وجوه قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فتحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وكان ذلك قبل الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت مع عمومي حلفائي دار عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان؟! لابل من جمعية الاتحاد والترقي؟ ولقد أحسن جدا العلامة المقري في جوابه المذكور في نفح الطيب حيث قال:

«سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم، إذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة، ويحملهم على الواضحة، بل من يفتر في مصلحة دنياه، غافلاً عن عاقبة أخراه، فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يراعي عهداً ولا حرمة! فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريقتنا، وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعاً»

٦٥٠ الخلافة والملك . منبع الاستبداد (المنازع ٩م ١١)

قال الله تعالى ممثا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر ، وخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من أثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولئلا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل

ملوك الافرنج مقدسين وغير مسؤولين

منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحصرهم على الجاه وطمعهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشنون به ، وينصبون له اشراك المكيدة ، ويتهمون به بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعدوه عن مركز الدولة ، وربما تسببوا في مصادرتها وقتله مع

(المنار ج ١١ م ٩) قصر السلطنة العثمانية وترية ولي العهد والكامر يلا ٦٥١

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية. وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر، ونتيجة التضييق واحدة وهي الاستبداد، وتغلب القوة على الحق. والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة ببصرها لا تطعم على خفايا السياسة وتدير الملك، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لا خفائهم جميع ذلك عنها، واستبدادهم بالامر عليها. ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحمر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب. فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وترية ولي العهد والكامر يلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي. وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسعة، واسكان من معه من الحريم والاسرة والاقارب والحاشية، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم، واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء (العرضي). فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو «المصدر الأعظم» القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية، وبجانبه «قاضي عسكر» لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الجند والمحافظة على حقوق السلطنة، وشيخ الاسلام انما هو «قاضي عسكر» وظيفته أحدث عهدا. فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلة، ثم «الدقتردار» الذي يقيّد الاموال ويحرر الحساب، وهو اليوم ناظر

٦٥٢ الاغوات في القصر السلطاني . الماين (المارج ٩م ١١)

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء
أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما حبال الخيمة
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من مماليك البيضان وطواشية
السودان المحافظين على الحرم ، وكيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات
« قنزلر آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزرع البساتين
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الابريقدار » و « السجاده جي
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات (العرضي) مثل آغة
الانكشارية « يكيچري آغاسي » وآغة الصباهية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج
كلهم في درجة واحدة بمثابة حبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية
والمعاشات والتعينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تميز بين « القهوه جي باشي » الذي
لا يحتاج صناعته الى معرفة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر
المفلق الأمير شكيب على ان يقول أياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرا
ولذا امتزجت الحياة البيتية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي
وسط يقال له الماين لانه بين « الاندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية »
و يعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

(المناج ٩م ١١) تربية ولي العهد . الملك والكامريلا ٦٥٣

فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيع هذه العادة المستكرهة ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمرا أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السذاجة والغرارة ، فاذا ولد لأحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركسية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهن حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية ،

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفلت من أيديهم ، وقتشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجبر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اقتضوا عليه وسامته بالاستئتم واقترعوا عليه بإفكهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وتزديده ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

٦٥٤ شروع الدولة العلية بالاصلاح (المنار ج ٩ م ١١)

والاثوابجي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى الباطه جي باشي وهو الخطاب — نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجبر المنافع وتوظيف المنتسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وابناء ملوكها العظام ، ولم ينزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد أن كان لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين إليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدينة العجيبة التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أستراليا (النمسا) وروسيا والبنديقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط وانتهقر ، وبدأت في الإصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معمل أسكب المدافع ، وأقبل السلطان سليم الثالث بهمة عالية وإقدام على القيام بالإصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغاثته أيدي المنوت بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرم على الأمة والدولة ، بعد أن كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ومفاخر كثيرة مستورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وأزال غائلة الانكشارية ، ونظم المساكن الجديدة ، وأجرى من الإصلاحات ما هو مفصل في التاريخ العثماني . وأصاب اندول العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بونابارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دللي علي باشا ، وحرب الموره ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتدخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماية عن المسيحيين : فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانكترا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطالبن الباب العالي بإجراء الاصلاحات ، ووضع القوانين والنظمات لمنع التعدي على النصارى ، ولمساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن واتحاد الثوار . وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تقشع الجلود من سماع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذايح الروم في حرب المورة ، ومذايح لبنان في حادثة الشام ، ومذايح البلقار في حرب روسيا الاخيرة ، وهي التي قام لها غلا دستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفة التاريخ .

مدايرة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساءت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسته أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي ممولي رقف السلطان بايزيد ، وكان مولده في الاستانة (١٢١٤هـ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيبه الصدر السابق اسرار طهلي علي باشا ، وذهب الى مصر مراراً وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فأكمل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات أوربا بسبب اجتهد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطعنها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوساً وأشدّها خطراً على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوروبية وفي مقدمتهن
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية
الى القيام بالأصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية
الدول سداً منيعاً امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان (تموز «يوليو» سنة ١٨٣٩) كان مصطفى
رشيد باشا سفيراً في لوندن . فتمين ناظراً للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل
كثير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال
الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت
قراءته في كلخانة (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قو)
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتمل على تأمين
الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال
الاميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء
المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك
مما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات لإرضاء لاوربا ولا سيما انكلترا .
والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح
والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز
والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلاء لم يكن
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحتها التنظيمات لم تكن شيئاً
مذكوراً بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نواويس المدنية الحاضرة كما
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كهصيان الارناؤط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفته اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشايه الغامضة والالفاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده ونحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا « تاريخ علم الأدب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعقلا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

عالي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبغ منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين عالي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشلي علي رضا افندي اي المنسوب

(المناج ٩) (٨٣) (المجلد الحادي عشر)

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجه جي زاده عزت ملا الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فتعلم امين مباديء العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سمية، ولم يصطلحوا كالعرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسمي (عالي) تسمية بالصد تفاؤلا بعلوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنسية وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في (انجمن دانش) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق الكادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العلية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذاك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجمعة السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع مع جودت باشا دقاوعد العثمانية التي لم يؤلف لآن احسن منها ، وخلف الفريق كجه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلترة ، ومما شاة لها لحرصها على تقوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاوامر المدرجة في الدستور ترجمة حرفية، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حق درسها ، ولا لنشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم، ولذا لا موا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها تؤل إلى قلب البلاد وجعلها

(المنار ج ١١ م ٩) حرب القرم - حزب تركيا الفتاة ٦٥٩

افرنجية محضة . ولذا كانت الاكثريه لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة أو مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور با اليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكساره وفرنسا وساردينيا اي ايطاليا ، فحاربين روسيا وانتصرن عليها في حرب القرم وعقدن معاهدة باريس (٣٠ مارس سنة ١٨٥٦) واعترفت اور با بمقتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كلفخانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الفرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تمنع تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد علي ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا لمصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا للمالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقتراض قد تفشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم النقدية ، حتي بلغت الديون ما بلغت فأتقلت كاهل الامة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، ومترجم تليماك للتركية الترجمة الاولى المويصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العدية ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالامع لباشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث أيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

٦٦٠ حزب تركيا الفتاة --- تكوينه (المنار ج ٩ م ١١)

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأتحه الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت به فئة من الشبان فأكرم مشواهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والملاحظة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والنام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فنظموا الشعر وألفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، واشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدير الملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلايك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقر سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديهة عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

(المنار ج ٩ م ١١) لائحة فاضل باشا للسلطان عبدالعزيز ٦٦١

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الأميرة الشهيرة نازلي خاتم التي اقتفت أثر والدها وزوجها الأول في تعزيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاه هي وشقيقها الأمير محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبدالعزيز

نخلص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تتصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تحجز لهم وتحامي عنهم ، فرعايا جلاتكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لاحد له ، والمظلومين بلاشفقة ولامرحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلاتكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع ساداتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكائاتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتكم الملوكية ، لان ظلالمهم يرون هذه الاستغاثة مع الاحترام بحكومة جلاتكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويعدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (١٨٦٢ م) ، وهاجر الى باريس (١٨٦٥ - ١٨٦٧ م) وانصار هذا الحزب هم جميع المطالبين على

٦٦٢ اصلاحات عالي باشا . صدارة نديم باشا (المارچ ٩ م ١١)

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا (جون تركي) كايكولون (جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي) قترجم تركيا الفتاة وقبل بالتركية (كنج تركر) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بوساطة بعض الاجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فلا أكبر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الاسلامية ، لما علمت من ان الاسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الاعظم عالي باشا صاحب الاعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقواف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها قترجوها مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و (الدوتة) واشترك الزوجين بالاموال وعدمه ، كما هو مختص بالاوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة عالي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر اموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنايف سفير روسيا في الاستانة

صدارة نديم باشا الاولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، قتربى في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتعين واليا كأيه ثم ناظرا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للاصلاحات الجديدة والحرية . تقرب إلى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدرس له بانه تحت وصاية

(المتزوج ١١٩٩) الاختلال في صدارة نديم. صدارة مدحت باشا الأولى ٦٦٣

فؤاد باشا وعالي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالاته !!! ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد !! ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا، وحدد فيها مصارف المايين، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودرهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين، فاستبدل بهم المرتكبون وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية، حتى كان الضابط يرقى إلى المراتب العلى في أقرب وقت، ويصبح مشيراً، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بين السرايات التي لا لزوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار ثرا بعدعين كما زاد الانهالك في الملذات والشبهوات ، وكانت أوروبا وصيارفة الاستانة تقرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم قراء الرعية من أصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الفلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين اكسارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجبل الاسود والهرسك روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لاشتراكهم جميعاً في الدين الارثوذكسي . ومن الفلطات المالية أيضاً إعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكّة حديد الروم ايلي المعروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضرار الخزينة والامه من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

صدارة مدحت باشا الأولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (الدانوب)

٦٦٤ صدارة مدحت الاولى صدارة نديم الثانية (المئارج ١١٩م)

اليمنى، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط
المعدود في ذاك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،
وأدخله على حداثته سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة
وال تجربه والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث ستين في دمشق الشام، وترقى الى
أن صار باشكاتب في مجلس (والا) وهو شوري الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فاجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت
بينه وبين البرنس منجي كوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨ م تولى الصدارة عالي
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا مدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية. وما زال
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلغارستان الحالية) فأجرى فيها
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشيرا لعساكرها فسكن عصيان نجد، واهداه
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمه، واذ كان الصدر الاعظم محمود
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية
ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سراري
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما مقام في أحد الاقضية
فأجابته مدحت « سلم على الخاتم وقل لها ان تلتمس هي بنفسها من أفندينا ذلك »
واشتد غضبه من مداخله السراري وتنازع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد،

(المناج ٩م ١١) هياج الصوفتات - صدارة رشدي باشا ٦٦٥

فزاد الارتكاب ، وبيعت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالمزاودة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قضت باعلان الافلاس في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٥ ، وطمع المدوني البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان الجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة أو ستة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ٢٢ ميس (مايو) سنة ١٨٧٦ وذهب آلاف منهم إلى سراي طوله باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقيصري أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

٦٦٦ خلع عبد العزيز ومراد وجلوس عبد الحميد (المنار ج ٩ م ١١)

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبدالعزيز في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ بقتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء ، وقتل السلطان عبد العزيز من سراي طولمه باغجه إلى سراي طوب قبو المقابلة لها على ساحل البحر . ثم قتل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطولمه باغجه على ساحل المضيق (البوغاز) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثر بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجر كس حسن بك و خلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجر كس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلوس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكمال بك

(الماراج ١١م٩) مؤتمر الاستانة . القانون الاساسي . صدارة مدحت الثانية ٦٦٧

كاتين خاصين للماين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحريصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتنميته . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للماين ، وازكليز سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للماين

مؤتمر الاستانة واعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجلب الاسود والبلغار وتأفهمهم من الظلم والاستعباد، وهطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب لغته، بعدان كان الدين المسيحي الارثوذ كسي يجمعهم تحت سلطة بطريك القسطنطينية . وكانت أور باتطالب الدولة العلية باجراء اصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف ، فقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا (النمسا) ، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغنايف ، وواحد من ايطاليا ، وواحد من المانيا ، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا ، فمقدوا جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع ، فوقف صفوت باشا قائلا: أيها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم ، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء ؛ وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر ، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العبيثات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلان القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه مئة مدفع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن (صدر اعظم) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخة ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يررض الجنرال اغنائيف بهذه الاصلاحات بل أصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية أيام ، فكانت من قبيل (الأوتوماتوم)

عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلسا عاليا مؤلفا من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردّها يؤدي الى الحرب ، فتشاوروا بكمال الحرية وابدى كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحمي يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وألقى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقترحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والغبيرة على منافعهم ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) برفض مطالب الدول المذكورة في لأئحتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

تغلب حزب التهور وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب الخالف للقانون الاساسي يسمى في التلخص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انمقد مجلس الوكلاء برياسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العلية (الحاقية) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس السلطان الحالي!! ، وكان أحمد جودت باشا من المنسبين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاء مشهور في الاستانة والولايات ، واعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكمال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكرهم وبجريدتي (وقت) و (استقبال) والمقالات الشائقة المحررة فيها — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدات الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مقتي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لئلا ينتخب مبعوثا عن أهل الاستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف يوجب علي أن لا أطيع امورك (أو امركم) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كما تقدم . وبالْحَقِيقَةُ ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلطان بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا وبقية وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفى على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديري دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وفيق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء ومندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصر وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغنايف الى اوربا يقول: بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعااهدة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيا لاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترة في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم ايلي فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يهقه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدرها حق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي ينقدونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نعرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون: ألم يكفنا ما لدينا من المجلس والدوائر المشجونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين آتراه يصلح بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؛ فما بالك في مرا كز الولايات والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثهم الا بطلب الرتب والاسمة واللقاب والمناصب والخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم !! ولئن لاذبهم وحام حول حامهم ، أو باعفائهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب والمكوس عنهم ونحو ذلك ؛ مما يعود على الوطن بالخراب لا بالعمران ، كأن خزينة الدولة كنز لا يفني ، تخطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ و١٩ مارس (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طوله باعجه بمحلة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتنان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقدار الدول والممل انما هو قائم بالعدل ، حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعاية . وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان المحافظة على السنة صنوف رعتنا وملتيتهم ومذاهبتهم منذ ست مئة عام كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل ينما كانت رُوة الدولة والملة (الامّة) وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة ووقية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قاة الاتقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف الخ
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتفاء السلطان عبد المجيد خان أثره ،
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفق أفندي الذي
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لالا انتخاب! ولذا كان رقبيا على
مدحت باشا ، وقد اتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الانغام وائتلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما فيها

مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في المريضة التي ينبغي تقديمها من
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فخررت مسودة الجواب واستقط
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان قبل إسقاط كلمة تدل على أئمن امتياز نلناه ، لان
لساننا — نحن معشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة
سلطاننا الاعظم ان نمحو كلمة أثبتت جلالته بنفسها وكروت منحنا ذلك من جديد »
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! ! » أي حسن
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي
نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !
(لها بقية)

العمل *)

لئن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المعادن، أو في مراعيها الغزيرة السكّاء، أو في أنهارها المتدفقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على العمل ولو قليلاً. فلا بد من فلاح الأرض وبذر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعمائها، وتبذل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيت طعمها. فالعمل ضروري للعمران، ولازم لكل موجود، وهو للموارد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاه ما قدر أحد على الاغتراف منها.

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به، فقال عز وجل في سورة مريم (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا) وهو أمر به، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت الخاض بهز جذع النخلة قبل أن يساقط عليها الثمر، مع انه قادر على أن يكفيها موزونة ذلك التعب، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسعي في تحصيل رزقه، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم. وقال تعالى في آية أخرى (وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا) أي وقتا يلزم فيه السعي لتحصيل العيش ورقب الرزق بالعمل، وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمتة من الخيرات، وقال (فابتغوا عند الله الرزق) أي

*) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا ننقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد السياسي المفيد، وهذا ما اخترنا نشره وقاء بالوعد، وبحرياً للنفع

(المجلد الحادي عشر)

(٨٥)

(المناج ٩)

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضروراتكم ، وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شابهه وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى على نفسه ليكيفها المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احث لديك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي العمل في آية حرفة على الاستئانة إلى الكسل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الإنجيل ما معناه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طاب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للإمام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خماسا وتروح بطانا ، فذكر انها تغدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافظة على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتعيش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضلوا مد أيديهم للسؤال على مدها للعمل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلقى اليها ، أولئك هم الذين يحمل الشقاء بالبلد الذي يحلون

(المنار ج ٩ م ١١) العمل أس الثروة — الشاهد الحسي على ذلك ٦٧٥

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسعوا في أحداثها. العمل هو أساس الثروة فكيف ينظر النجاح بدونه، وهو دامة كل مآثره في العالم من التقدم في المدنية. ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا وتحولت فيه الصحارى القفر إلى حدائق غناء، وجادت الأرض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب أهلها. لولاه لم يصير التراب تبرا، وتبدل المفاز بمعاهد للعلوم، ومعابد للنسك، ومعامل للصناعة. لولاه ما ضحكت الأرض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الأكام، ولا حلت الأشجار لذيق الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها قبل أن تصبح دانية ظلالها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تعهدا قبل أن ترعرع أغصانها، وتصير دوحة تناطح السحاب. لولاه ما استنبت الإنسان الوسائل التي يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء، ويجمل كليهما رهين إشارته. لولاه ما أخذت الأرض زخرفها، وبلغت من المدنية غايتها، وبدت آثار العمران في أنحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام، وتتضاعف ثروتها آناً فآناً.

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع بصره الكرة إلى « استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الانحطاط، لخول سكانها الأصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت من العمران حظا وافرا، وجرت في المدنية شوطا بعيدا. ذلك لان قوما عرفوا مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا المناجم واستخرجوا كنوزا دفنتها الأرض في بطنها اجيالا، وحافظت عليها لمن يقدر العمل حق قدره. فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وإنما تغير سكانها. بل مالنا ولتمثيل باستراليا، وأمانا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم والعرفان، ومصدر العمران، ما لها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها، واندرست معالم علومها، واندثرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي، أشبه بحلم حالم!! أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

٦٧٦ رأي الفلاسفة في أصل الثروة . أدوار العمل . عصر الصيد (المزارع ١٩م)

أضاعوا الجدموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد (وتحسبهم أبقاظا وهم رقود)
كان « كسائي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لأحداث الثروة، ويبخسون العمل حقه في الأحداث، وذلك زعم صحيح من جهة أن الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسائي » بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، إلى شكل يصير بواسطته آلة تجارية يتهافت الناس على ابتاعها. أنكر على العالم الكيماوي تركيبه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على أنه بعد « كسائي » كما قدمنا أتيج للعمل أن يأخذ « آدم سميث » بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصمود، ونجمه في السعود، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » أنه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في إحداث الثروة حقيقة، إذ الإنسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يجر كما كيف شئت تلك الإرادة

١ - أدوار العمل

عصر الصيد

في ذلك العصر كان الإنسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالأنعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه إلى المروج الغزيرة السكلا، ويلقي عصا الترحال إذا قل الصيد، كما تفعل هي إذا غيض الماء أوجفت المراعي. وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين: الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، أقله أذخاره، لما يقتات به في اعساره، فالويل له إذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو ابتابه حر أو برد منعه عن مطاردة فرسته، والويل له إذا كان ضعيف النكاية أعداءه (كذ في الأصل) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا إلى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه مزعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هناك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له أو ذرية في

أغلب الأحيان، ونذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالقوت تحرزا للمستقبل .

عصر الرعاة

ولما رأى نذره معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملزم بالنفقة على زوجته وأولاده ، توجهت همته الى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا يتفق به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساءلونه على رعي تلك الابل والغنم في الوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والانتقال بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، وكانوا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نعزو كثرة عدد الناس الى سببين (الاول) كثرة تاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بالبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، ووجب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الارض ، وبذر الحبوب فيها وتعهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعاهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلى ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، يأوي حيث نبت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معوله ، فيحول به الارض المجذبة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وانبى على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فنظم معيشتهم وظهرت الحكومات لأول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الأمم المتمدنية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة ، وعدم

٦٧٨ . عصر الصناعة . عصر البخار . الأعمال العقلية (المارچ ٩ م ١١)

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير غناء ، على ان تلك الام نفسها وجهت همتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

عصر الصناعة

الصناعة أثر من آثار المدنية تتوجه الهمم اليها عند بزوع شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا تتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد تحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الام المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة النجارة والحدادة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملبس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة الا اذا تهننت وتنوعت أساليب مدنيته ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالعليم والتأليف .

عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدبر الآلة البخارية فكيفه مؤونة التعب .

﴿ ب - الأعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفلح الارض أو يندر الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من المعلم ، ويتعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تعهد الارض مالم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم ينتفع بالآلات البخارية في

(المنار ج ٩ م ١١) الأعمال المنتجة للثروة رأي العرب والافرنج فيها ٦٧٩

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيمس وات » وغيره قرائهم حتى وصلوا الى استخدام البخار. فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

﴿ ج - الأعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الامم، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة، أو تجارة أو زراعة، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو، ويرد المظالم، وينظم الري، هو عمل يزيد في الثروة، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع للعواد الأولية، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها، والراعي الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تنبت ما يسد الحاجة، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة، وأما الطبيعيون وهم (كسائي) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات: طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاوليين. ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة، وتبعه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال (أولا) الى ما هي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف، مثال ذلك العمل الذي يتكبد كل من حارث الارض وبذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لأن كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وإن تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا (ثانيا) إلى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الأولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة (أ) الأعمال التي يتكبد بها الناس في استخراج المواد الأولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الأشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتج ما دامت تتيحها تستخدم في الصناعة (ب) الأعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ، مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل (ج) الأعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات الممعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لأنه لولا تلك المحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب (د) ما يوجه من الأعمال إلى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصانع ما دامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما إذا كان الصانع لا يشتغل بيده (هـ) الأعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف إلى حيث يطلبه الناس ، يدخل فيها عمل الخماين في البر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والمتسبين والسمايرة والأعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويجها ، ولا شك في أن هذه منتجات ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة إلى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الأهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا إذا نحن عددنا ضمن تلك الأعمال ما يبذله الفلاسفة والحكباء من الأفكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذله الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الأمن ، سواء بسن القوانين أو الأعمال الحربية برية كانت أو بحرية

(المئارج) : أن بعض ما أورده المؤلف من الأحاديث لأصحة أو سندته

وإن كان صحيحا في معناه ووضعه

(المنازع ١١م ٩) طريقة جرجي زيدان في التأليف ٦٨١

باب المناظرة والمراسلة

مكتبة المامة

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام*

﴿لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان﴾

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصاحفيا ففيلسوفيا لغويا فنسابة فروائيا مبتدعا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جلية قلما يخلص بعضها لاقتاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخلوها لحضرتة أفادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الاوربيين وغيرهم ممن لا يحبون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلمنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفضي بصاحبه في النثر الى مثل ما يفضي به في الشعر فيكون أعذبه أكذب ، ولا اعتقادنا ان نفعها اكبر من اثمها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الغث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ماشاء

(*) بقلم الشيخ احمد الاسكندري

(المجلد الحادي عشر)

(١٦)

(المنازع ٩)

وندر ، فلما قرأت تقریظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤید لكتاب (تاریخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولانا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤید بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاغراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاریخ جاهليتها الاولى المقبور في بطون القدم قد نبش المؤلف من ناووسه ، فرايني قوله - والمبدعة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كمادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للعشور على الضالة المذشودة والحلقة المفقودة من تاریخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزیز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب بالهاف أخذ مناقص بناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى تقده ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاریخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كعادته في كنه غموض تاریخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تطذره الا على من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات الحية والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم تمهيدا في مصادر تاریخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآثرية وغيرها (كما يقول) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة اخماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزا يسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بامعان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوربية يستفيد من الكتاب
أولاً — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميئة

ثانياً — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثاً — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا

رابعاً — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبلي والتدمري عن العربي
الفصح وهي فوائد تشكر المؤلف اذا عتها في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون واتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب أواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فعندما ن مثل طي
وكندة وثلج وجذام ومذحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

«وكل هذه النبطون أو القحطانيون قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يخلو
ذكره من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذ اتدبرت أحوال هذه الدول من غسان ونخلم وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتمدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أثرا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سيل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السيل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغني الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نخوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبائية أو الميعينية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وثعلبة وجبة والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين اسماء بلوك حمير من أمثال هذه فان أكثرها مبدل بأسماء شالية وانما عمدتنا في ما ذكرناه على الاسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

« فلا دليل على قحطانية هذه الامم إلا أقوال النساين وهي أضعف من ان يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال ان تكون تلك الامم قد انتحلت الانتساب الى عرب اليمن التماسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سميا بعد ان تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عملهم » اهـ

وتقول في دحض هذه الاقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فان الاختلاف فيها إما أن يكون في الاصول وإما في الفروع أما الاصول فايكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من اصل واحد كما اعترفت به حضرة وأما الفروع فلم ينكر احد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الاعراب والتصريف والقلب والاعلال والابدال مملوء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والادب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها الى ازهاق الارواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي العجمجة والشنشنة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من اصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول ان قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لانحادها مع العدنانيين في الاصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الاسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثير من مقالات وفود الحميريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية الا في معاني بعض المفردات . وانما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والجماع والاسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه ان اليمانيين كانوا هم الاقوياء الغالبين فذلك على فرض تسليمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من التقارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بعد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كاهلهم الصفوي والثمودي والحجاني وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم الى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وان سيل العرم لا يكفي لفرقهم يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة الى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الارض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه القفار بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الخبرة بالانبار وفي سورية وفلسطين فلتقد احتلوا في الاولى جميع الاراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وفي الثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية اليمانيين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وظلوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فان الظاهر من الآية ان التمزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا دخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) وامادى انما ادعى في المعبودات فلانسلم انها كلها كانت عدنانية من كانت خليطا من كل الاديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

(المراجع ١١م ٩) دحض المزاعم في قحطانية عرب الشمال ٦٨٧

وهي من معبودات أهل الجنوب كما نهوّد وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والية وتمازجهم في كل شيء كما يسمي الاقباط الآن أنفسهم بأسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب واترك وكما يسمي الترك أنفسهم بأسماء عربية مع انهم هم المغالبون للعرب وكما يسمي السوريون أنفسهم بأسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود أسماء عدنانية بين أسماء الحميريين قحض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الألماني احد الأتريين اللذين وجدهما في اطلال السد وهذا كته ابرهة قيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقيال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وثمامة وحنش ومرئد وكل هذه أسماء عدنانية كما ان معديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميريتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نثني بها جميعها في هذه المقالة وهي بالغة بسراحتها الى أفق البدييات

فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضرين بعد الاسلام وتعصب المضرية واليمانية في الفتن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحاسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضعافا (لها بقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ اليافعي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ ونقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأيد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحوا الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (ما ننسخ) فالمجرد النسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان بعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما ننسخ من مثل آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحجة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأبي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها ؟؟

(٥) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(المناج ٩م ١١) معجزة القرآن . نسخ الأحاديث للآيات ٦٨٩

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتت بمثلا في الاقتناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان وقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقتها وأعم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أوتي أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عليم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادوا وكفروا (فقالوا أرنا الله جهرة) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ ! وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لا وصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل (المناج ٩) (٨٧) (المجلد الحادي عشر)

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة وغير ذلك كثير !!

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها (فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) الخ معناه إن لم تفعلوا ما نذرتكم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا نذبتكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ فقوله (وتاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع الى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كسابقها لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي متقدا على تفسيرنا لآية (واذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . ونقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواقفة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فانهم وافقوا أهل الكتاب منهم في دعائهم بالباطة وتمادوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) فانهم لا يؤمنون برسول الأولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن يخالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظه له ولذلك ترى في القرآن آيات

(المترج ٩ م ١١) اتحاد المشركين والكتابين على مناوأة النبي ٦٩١

كثيرة أمثال هذه التكذيبات اليهودية أو الصرانية واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب قانهم جميعا كانوا متضامين ومتحدين بعضهم مع بعض على بغض النبي وتكذيبه وعرقلة مساعيه فهم - وان اختلفت أديانهم - أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله . فمن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكذيب قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشركين بذلك عنادا لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قال تعالى له (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس) الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب السبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بغض الرسول وتكذيبه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشكيكات غير مبالين بمخالفتها لمعتقداتهم فلذا صح أن ينسب ما يقوله بعضهم لهم جميعا لا تباعهم له وتعويلهم عليه في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة إلى الأمة جميعها خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء ويعملونه

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشركين (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقلدون اليهود تقليدا أعمى ويطيعونهم في جميع ما يوعزون به إليهم وإن نافي معتقداتهم كما قلنا إرضاء لهم واستجلابا لودهم ومعاونتهم لهم على الرسول . فكثير من مثل هذه الأقوال كان صادرا عن اليهود ثم تبعهم فيه المشركون وصادوا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت ومحريم بعض اللحوم . ولذلك جاءت آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) في سياق الكلام مع المشركين مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقلدهم فيه المشركون تقليدا أعمى كما قلدهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم

هذا وإن الاستاذ الفاضل قد استنكر جمل قوله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولن يعذبهم الله) وصفا لليهود وفاته أن الله تعالى قد وصفهم

بمثله في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة — إلى قوله — وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بثس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) (الكلمة الرابعة) — بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين

أولا — قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصالح والتقوى لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيفتخر به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه ونستره . وقد يكون بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنب إساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضعونه من الاحاديث يشوش على الناقد الباحث علمهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح . ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه . وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب او المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالا من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

(المناج ٩م ١١) كون رواية الآحاد لا تفيد اليقين ٦٩٣

ثالثا - إثبات عدالة رجال الأسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فإن ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا - أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجا كلياً أو جزئياً

خامسا - من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شذو قليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مغتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة سادسا --- قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل رواتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لا نبرته من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال مهما كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطوء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وإن أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياضي زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

٦٩٤ اتباع الحديث ومخالفة القرآن (الماراج ٩ م ١١)

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الأمة الإسلامية من العناية والنمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على روايات الآحاد فان حجة ناهضة بالتواتر فيه والجمع عليه فليهدأ المسلمون بالا

(الكلمة الخامسة) — في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لاجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخوضون) . في هذه الآية

— وأمثالها في القرآن كثير — يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

تطمع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخوضون — الى قوله — وان كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطررنا إليه كما في بعض الاحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الاستاذ الفضل الشيخ اليافعي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الامثلة على ذلك : —

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرموا أكل الجمر الاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيراً لما رويهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لأجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجحمة استعمال الذهب والفضة والحرير للأحاديث التي رويها القرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من يفتن المرأة على عمتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقاً على من ارتد عن الإسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطعي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقد ذمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الاستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يعقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان يذم لأجله غيرهم في كتابه ؟ !!

أنا لأقول إن جميع هذه الأحاديث يجب أن تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلاً صحيحاً وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الإسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأملها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم تأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزل من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سنبينه إن شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

٦٩٦. وجوب البحث في الاسانيد والرواة (المئارج ٩م ١١)

حدة اطولها . فالمسلمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الاشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تغلبهم في اعتبار الاحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لغزا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختم أم عليهم العمل به بمجرد نسبته إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الامر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فسادهم وأما الامر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يقضي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا أن التقليد في الاسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والا بقي دين ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال المهذ على رجال الاسانيد وبعدهم مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين (*)

﴿ في مجلس المأمون ﴾

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لانه يكون اذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كن حادثا

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويعذب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث — ويسمى (المعتزلة) — فاتفقوا من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وتقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، فكان الناس لعهده يستترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويتسألون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من التعمود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشراً المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جها أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفا على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه المحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

﴿ لصديقنا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي نزيل مصر

(المار ج ٩) (٨٨) (المجد الحادي عشر)

٦٩٨ التصريح بأن القرآن غير مخلوق (النازج ٩ م ١١)

ويتعودون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكفائي (الذي نلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) انصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المربسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه، فأطال همي هذا الخبر، وأطار نومي، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي. ثم إن عبد العزيز جمل بعد وصوله إلى بغداد يتنهل إلى الله أن يسدده، ويثبت عزيمته، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديها، فبداله أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسفيه آرائهم وطلب محاجتهم، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته، واستماع قوله، ولم يكذب ينتهي الامام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حياال القبلة والمنبر صوت رجلا مكيا الرزي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي اقامه قبائله عند الاسطوانة الأخرى :

الاب — ما تقول في القرآن ياني ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق ياأبي

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بواعلى وجوههم خارجين من المسجد، وأسمرت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذاك عمرو بن مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس — أمجنون أنت ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — موسوس ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — معنوه ؟

عبد العزيز — لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة الجديد

(الماراج ٩ م ١١) ظلم الشرطة في عصر المأمون ٦٩٩

الرئيس - فمظلوم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لاصحابه - مروا بهما سحبا الى منزلي .

فاحتلما الشرطة، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا، وايديهما في ايديهم مينة ويسرة، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة الغليظة، فادخلا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حلاك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القربة الى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار المخالفة لامير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاغير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسي ما ترى، وتفريري بنفسي

وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت انما جعلت هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت الى

امير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شيء غير هذا، وجعلت هذا ذريعة اليه، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لأعوانه أخرجوه بين يدي، فأخرجوني أنا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيديهم، حتى وصلنا

(١) الشوار: اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

٧٠٠ أعمال الشرطة في عصر المأمون (المار ج ٩ م ١١)

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على المأمون ، و بقيت
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بمخبرك وما فعلت وما سألته من الجمع
بينك وبين مخلفيك للمساظرة بين يديه ، وقد أمر أطل الله بقاءه وأعلى أمره بأجابتك
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الادنى ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطل الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عرك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد
أحدا ، ولا يعرفني من أهلها أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .
الرئيس — نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف
فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فلعلك ترجع عن غيك ، وتوب من فعلك ،
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فأفعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، نيس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلا على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامة عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وانه نيس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم
ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة ، فأجابه عبد العزيز بأنه ما خرج من بابه الا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجله — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت
حرصت على سفك دمك جهدا

عبد العزيز — معونة الله أعظم وأطاب من أن يذاتني ، وعدل أمير المؤمنين الجديد

وسم من أن ضمة

(المنار ج ٩ م ١١) غلظة بطانة المأمون وأفعه هو ٧٠١

وكان قد صدر الامر إلى بني هاشم أن يركبوا ، وإلى القضاة والمفتهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والقواد والاولياء (١) فركب القوم بالسلاح لإحداث الهية في نفس عبد العزيز وسائر الناس الذين يوشك أن يفسدهم ، قال عبد العزيز ثم أذن لي فلم أزل أقل من دهليز الى دهليز حتى صرت الى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن (٢)

الى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن (٢)

الحاجب - إن كنت تحتاج إلى تجديد الموضوع؟

عبد العزيز - مالي إلى ذلك حاجة

الحاجب۔ اِرم رکتین

عبد العزیز - رکم اربع رکعات ودعا الله

الحاجب - استخر الله وقم فادخل

فأزاح الستر وأخذ الرجال (التشريفية) بيدي ومعضدي وجعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبي وطلقوا يمدون بي . ونظروني المأمون وأنا أسمع صوتا « خلوا عنه » وكثر الضجيج من الحجاب واقواد بمثل ذلك « فخلوا عني » وقد كاد يتغير عني من شدة الجزع ، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح ، وهو ملء الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين ، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها

قال عبد العزيز: فلما أوصلي الحجاب الى باب الديوان وقفت فسمعت المأمون يقول ادخلوه قربه ، فلما دخلت من باب الديوان وقفت عيني عليه ، وقبل ذلك لم أنتبه اليه لما كان على باب الديوان من الحجاب والقواد ، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركته ، فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركته ، ثم قال أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن ، وأدنو ، ويكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة ، حتي صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتأظرون ويسمع كلامهم ، والحاجب معي يقدمني ، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست

(١) يريدونهم المؤمنين المخلافة لأهل الباطن كما هو اصطلاح أهل العصور

التأخرة (٢) أي صحن دار الخلافة وهذا الحاجب بمثابة سر تشریفاتی اليوم

وسعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبج وجهه، في الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهامه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا، على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظرني وأنا ارتعد خوفا وانتفض، واحب ان يؤنسني، ويسكن روغي فطفق يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج اليها، يريد بذلك كله إنساني، وجعل يطيل النظر الى الأيوان ويدبر نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد انتفخ وسيقع فبادر في قلمه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعها فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - وأنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيئة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

(المدارج ٩م ١١) حال المناظرين في عصر المأمون وانصافه ٧٠٣

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الأرجل
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لأعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجعل يعدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم
المأمون - وأولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين ايناسي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعتي وجزعتي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقتني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، فقوي مهابطه ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم أقبل المأمون عليّ وقال
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامت في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستثلك بذلك من الجمع
ينك وبين مخالفك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
الخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت اقلناك .
ثم أقبل عليّ بشر المربي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه .
فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فأنحط عليّ فوضع ركبته
وفخذ الايسر عليّ فخذي الايمن فكاد أن يطمه ، وغمز عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أمرك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم أقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز تناظره على ما تريد ، واحتج عليه ، واحتج
عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، تحفظا الفاضل ، فاني مستمع عنكما
فحفظ الفاضل كما . فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرع في مناظرة خصمه مالم ينتقم من ذلك البقيض الذي عابه لامير المؤمنين
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف حاولت الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه و بالا عليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

٧٠٤ أخلاق العلماء في عصر المأمون وأخلاقه هو (المنارج ٩ م ١١)

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صبره على خزائن الارض ، واعتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احطلي على خزائن الارض اني حفيظ عليم ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزييله . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا تقول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ، فقلت يا أمير المؤمنين : قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتسكر انتفاخ الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحق . فهذا (يعني جليس السوء) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة او نلخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سوالات ، وكلفه جوابه ، ووافقه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فعند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطمعوا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على ركبته ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المتناظر لي ، فضجيج هؤلاء ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، وأقبل علي وقال تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فسكمت وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز: وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم لجاء بألف شيء، قهلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهره، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع هذا الضجيج وكان المأمون قد قدم منا مقعد الحاكم من الخوصوم.

قال عبد العزيز: وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غطي يده على فيه واطرق يكتب في الأرض يده على السرير

ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء والقرآن شيء من تلك الأشياء المخلوقة.

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته: قال تعالى «ويحذركم الله نفسه» فله نفس وقال تعالى «كل نفس ذائقة الموت» فتقول يا بشر إن نفس الله داخلة في هذه النفوس؟ فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت معاذ الله معاذ الله.

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز يلحظ حجج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له أحسنت يا عبد العزيز ثم أمر بعشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتمها من الغم والحزن وجعل الناس ينجئون الي أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا، قالوا لا بد أن تلي علينا ما جرى لنعرفه وتعلمه فبيت ذلك وتخوفت سوء عاقبته، فلما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حرج في ذكره فرضوا فأملت عليهم أو واقفا مختصرة لا تظلمهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي

٧٠٦ سياحة صاحب المنار في سوريا - أهل بيروت (المنار ج ٩ م ١١)

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمِينِ

سياحة صاحب المجلة

﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صبحا الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويدكرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحرية ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلوّ مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «ردّ الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسألة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يبدئون وكان يقال بالبشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشتركا بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة العثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتزويجهم على الوحدة الوطنية ونحو ذلك من الاعمال. ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متفهمين معهم على ذلك وانما اسندت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لاني لم أجمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور. إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

(الطارج ٩ م ١١) استعداد مسلمي بيروت للإصلاح ٧٠٧

مئوي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردّ الزيارة لجميع الزائر ين منهم ، ولو طالّت لتصدّيت للقاء أهل الرأي من غيرهم ،

والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي استسها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أثراً بعد عين .

ولا أذكر ما سمعته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفعها

رأيت مسلمي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الغيرة المالية والميل للأعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحييت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسمي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الإصلاح وقد سرني من حديث من اجتمعت به منهم أنني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد ، والخلاف بين طبقاتهم غير شديد ، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد ، ومقاومة الجامدين للإصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة ، والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكاء النابتة الذين يحبون الإصلاح لم يربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتحجب اليهم الانسلاخ من كل قديم ، وتزين لهم الاقتتان بكل جديد ، كما قن كثير من المتفرجين في الاستانة ومصر وتونس ، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجعلوها مع فنون العريية كل المطلوب لارتقاء المسلمين ، ولم يحرموا منها حرمان من يعادي الشيء لجهله به ، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العربية لا يوجد كثير من المتقنين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصيات لمقاومة الإصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين

ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلمي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم اقتنائهم بالتفرنج قد جعل نفوسهم مستعدة للإصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدونه وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف المعاصرة بغير معارضة قوية

٧٠٨ حكومة بيروت - طرابلس - استعداد أهلها للإصلاح (المنار ج ٩ م ١١)

رأيت من النابتة المصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمثل عن الشيوخ الجامدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومداراتهم والاستعانة بمن لان جانبه منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتد بها ، وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب الهمم من الرجال سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لائق العمل وكأله فلا يتعذر على أهل الغيرة الابتداء بالعمل مع قهده . ومتى تكونت الاعضاء تكوننا طبيعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحزمه ودرأته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالجيء الى الولاية قلنا ان حسن حال الاهالي هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة داره فلا مجال للومه

طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بعده فأقبلوا يستهلون فبدا الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من ليثهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الرافعي أسبوعا كاملا استقبل وفود الزائرين المهنيين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الجامعة الثمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت ذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب

(المنار ج ٩ م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين . حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الإسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ؛ ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لأنه يشغل الفكرة ولا يكملها فيكون عاقباً لها عما سواه كما أشرنا إليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نريضة في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريباً أو باطلاً بالبداهة محتجين بأن من كان أوسع علماً في فن أو علم ما كان أقوى استعداداً لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرقى منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعثمانيين فإن طرابلس أصبحت كأنها بمنزل بمن العالم المدني ، لا يهاجر إليها المرتقون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرتقون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجاء لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد إليها من بيروت لأنها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئاً يعتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذاك كانت حكومة طرابلس شراً من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تنل نصيباً من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضرة علة لكثرة الأشقياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من أعراض الناس ودمائهم ، فإن لهؤلاء الأشقياء زعماء يشتركون ذمة كبراء الحكم ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لأفراد الشرطة والزبانية بدريهمات يستعبدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال المحاكم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول أن يقرر فيها الأمن ويقيم ميزان العدل وانفذ الشرطة إلى بعض هؤلاء الأشقياء المتهمين بالقتل والضرب أو

٧١٠ الاحتفال بصاحب المنار وسبب الاعتداء عليه (المارچ ١٩١١م)

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هارين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين لقنوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسببها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب تقصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة انني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل العلم والوجاهة ووفود من الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة الموسيقى أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني (أعزه الله تعالى) صدحت الموسيقى وبعد السلام على كثير من المستقبلين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركبة كبيرة من مركبات الترام معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد فقبولناها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة الموسيقى في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفنا في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أريحياتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الاشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضربني بعصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فتلقاها الشيخ محمد كامل الرافعي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد به قتلني واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحدقوا بي وأرادوا إدخالني لأحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه أكثر من واحد منهم فطردوه ثم استأمنوا الدبر إلى دار الرافعي وكانت قرية منا وهناك اخبرني القوم بالمعتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلي وأنا طالب علم أشد

(المارج ٩م ١١) سبب الاعتداء على صاحب المنار . اهتمام الناس به ٧١١

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلني ويشيعني عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بإيهاز عصبة من تلك العصب التي أشرنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصبة ثقل عليها ان يعتز من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لظهروا استياءهم ولقامت قيامتهم على هذا الشبح البالي من حكومتهم على عدم ثقتهم بها بل لاستنفضوا همة حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة لأهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالتعدي على الضيف الذي يحدقون به تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وغنهم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء العام كان شديدا وأن بعض أهل الجرأة جهروا الزعماء عصبة ذلك الشقي وله بسوء هذا العمل وبمقت الناس لهم لأجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء أقسموا جهد أيمانهم بأن هذا الامر لم يكن بإيهاز منهم وانهم وبخوا الشقي الفاعل وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعهم الحكومة للشهادة ليكتبوها او يحرقوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة قبل القبض عليه !!!

هذا هو السبب في سكوت جمهور أهل طرابلس وإغضائهم على القذى ولو رثقوا بحكومتهم وأمنوا بقوتها شر تلك العصبة لظهروا سخطهم لها وللناس قولا وكتابة فهم معذورون في سكوتهم . على ان فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى الولاية ليخاطبوا الوالي في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى لو كان حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء .

أقول هذا جوابا لأولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا الينا من بيروت ولبنان والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنهي من بني اول حجر فيها وارحل انينا حيث تلقي من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس كيف يوجد من عارفي قدرك من يفديك بدمه ،

٧١٢ استياء اهل الاقطار من الاعتداء على صاحب المنار (المئارج ١١٩)

وكتب اليّ صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واشتروا بينهم ليرسلوا وفدًا منهم يحضرني من طرابلس وعصبة من الشجعان لينتقموا لي من المعتدين بالهوة إذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاونة فيه وكتب اليّ أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلًا من فدائية بيروت (الابضيات) بذلك فكتبت اليّ بعضهم إنه لا حاجة اليّ ذلك واني في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه مزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لاهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثة منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فعلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطفقوا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والبريد وتحدثوا بخدمتي الصغيرة للاسلام والدولة والملة فكبروها تكبرا يمثل البرقية التي وردت الي من شيوخين من أشهر أهل العلم والادب في مصر ونصها «نهني» العلم والدين بنجاة ركنهما الركين » ومثل البرقية التي وردت من قاضيين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصها «الثناء لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تمناها جميعا» وهناك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضعة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا تسئل عن رسائل البريد ، وما فيها من الاطراء والتنديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها ما جاء من فضلاء النصارى فكانت الحماسة فيها أشد ولسان الاطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقنا قولا افندي شحاده من رحله التي يمثل فيها بقول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف افندي شدودي من جونه الذي تمنى فيها كما تمنى كثير من اهل بيروت لو كان معي وقت الحادثة فيري أهل طرابلس

(المنار ج ١١م ١١) طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس ٧١٣

كيف يفديني بدمه (حماء الله) فأشكر لجميع أولئك المهنيين أريحيهم وفضلهم وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى الكثير من المهنيين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالغوا وأغرقوا حتى كنت أخجل مما أسمع من شيوخ العلم وكبار الوجاه ، من جمل الثناء والاطراء ، مثل : بيضت وجوهنا بفض الله وجهك ، شرفت بعملك سوريا والعرب ، أحييت بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد الذي نلته لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصاري إن الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الأعراء الغائبين . واتي أشهد قراء المنار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاطراء ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في خجل شديد ولولا قصد تبرئة أهل وطني الذي ريت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحداثة وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل الرأي والمكانة منهم لإياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملاء بأنه أجدرهم بذلك . ولكنتي لم أترك ما عندي من اليقين بعجزهم لحسن ظنهم بي ولذلك كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب العلوم الدينية يرغبون عن التقليد ويدمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحلونه ، ويعترفون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وإذا كرتهم بعد أن كتبت ما هدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل يروت ولم أر مثله من الطلاب في

٧١٤

الجمعيات في طرابلس (المنار ج ٩ م ١١)

بيروت ولكنتي أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر،

وقد رغبت من لقيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية، فألفت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن. ولهذا لم أرجع بعد لقي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلمي بيروت للعمل على استعداد مسلمي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

الجمعيات في طرابلس

الف أهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهل بيروت. الأولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يكون لهم منه ريع يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن فقائدتها محصورة في اجتماع أعضائها في نادها فتقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تغذي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب الترية والأخلاق والمجلات العلمية، وإن يترنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع والعمران، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية، فبذلك تكون جمعيتهم نافعة منذ اليوم، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الأعمال، كانوا به أبصر، وعليه أقدر،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والمحاماة. ويقول آخرون منهم إن إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا بمال كثير، وهو عسير علينا غير يسير، على أنهم لو وجهوا همهم إلى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يعلمون فيها، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجراً، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لأنفسهم، وليس

(المنار ج ٩ م ١١) الجمعيات في طرابلس - العمران فيها ٧١٥

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير، فيرميه الآخرون بالفرور والتفرير، ولعلمهم يشرعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى أن يتيسر لهم ولغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم، وعسى أن لا يكون ذلك بعيداً

وأما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم أنها جمعية تجمع الأموال لإعانة الفقراء والعجزة، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها أنها شركة مالية أسسها بعض الأغنياء لاجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربها، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ «حزب التقهر» ويقولون أن أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخيااتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لعلهم بأنهم لا بد أن يعزلوا أن لم يبادروا بالاستقالة. ويقولون أنهم أعداء الدستور ويطعنون دائماً بجمعية الاتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون أنها لم تعمل عملاً وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئاً مما يحكونه عنهم، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاماً صريحاً وتهكماً شديداً في ذلك، وقيل لي أن هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتب

وفي هذا المقام أشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والاندية العامة، وأرجوا أن يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الأقوال،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء، حتى خيل لي أن ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه، وقلنا رأيت أحداً ممن أعرفهم انتقل من دكانه سواء كان

مالكا أم مستأجرا . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدرا لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترتقي بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة أكلة أموال الناس بالباطل

شمائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شمائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحبيبك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الايام بعض النساء الراقصات ليروج بها قهوته فقامت قيامة أهل السلم من المسلمين عليه، وتعصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة (ريج) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاسانة العلية قابل سماحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

- ١ — مارأي شيخ الاسلام في تعليم المرأة المسلمة
- ٢ — مارأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ — بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ — ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا (بالعلم) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل — بانسراح صدر — انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء وزيادة

(المنار ج ٩ م ١١) ترجمة القرآن . الفنون . الحرية الدينية ٧١٧

على تحصيلين العلوم الابتدائية لاني أرى من الاوفق والاصوب أن تنولى الطيبة أمر معالجة المريضة المسلمة، لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطيبة، وأما مسألة قيام النساء بوظيفة المحاماة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الاخرى ولا أدري بأي نظر ينظر الاهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيباً عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقاً، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذل كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود ديناً عظيماً علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيراً من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت حلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والاهالي لذلك نحن لا تتداخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الاهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطالب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصّة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماماً الى الحكومة »

وقال مجيباً عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا تتداخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فإما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الخفيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع لزيارة أقرانها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أت

٧١٨ المرتدون عن الاسلام . الزواج بين المسلمين والنصارى (المارج ٩ م ١١)

تركيا لم تضغط ولا في الازمنة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليأمن كل على معتقده ودياته »

شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع المخبر كلام سماحته سائلا رأيه في المتقلين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة ندوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبينة على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالقوانين والتضييق كما لا نحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنحنا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل المخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح بمتحلله بزواج الفتاة المسيحية

(١) المنار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتانية ليعلم البشر التألف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتاني أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفضها ويفض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(المنار ١١م ١٩٨٩) مسلمو روسيا - علماء الدين والحرية الدينية - جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ! فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلامنا من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسلهم ولهذا السبب الصراح نقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تعد على عقيدتها ولا تعرض لأمورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين أن يضعوا قناعاتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الحنيف »

مسلمو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يضعوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المحبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على بقية رؤساء الأديان الأخرى » اهـ

(المنار) : إن قراء المنار يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

﴿ جريدة النظام ﴾

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

٧٢٠

الجزائر . تصحيح . بيان

(المارچ ٩ م ١١)

الدفاع عن مصالح مصر بالاخلاص والصدق اللذين اعتادهما القراء منا في الخمسة عشر عاما التي مضت من خدمتنا الصحافية . فاذا تفضلتم بالاشارة لذلك في صحيفتكم القراء بشكل يجذب الانظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . واذا اردقم تلك الاشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم منتصف شهر نوفمبر فانكم تجميلون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام

محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و (المنار) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحا وفلاحا ، وتوفيقا للسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاوته الكتابية بضع عشرة سنة ، وتقننه الصحافي ، وذوقه الادبي ، ما يرجي معه رواج النظام ، ورغبة محبيه فيه

(الجزائر) - وجاءنا من عمر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية « سماها الجزائر » ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فدعوله بالتوفيق والنجاح

﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الأخير من (ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١) وهو: « ثلاثون رجلا . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلهم وكثرة المشركين واستمر هذا » فيكتب بالقلم

﴿ بيان ﴾

اصدرت هذا الجزء من المنار غير مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في سياحته